

الدراسات اللسانية العربية الحديثة – 1

تمهيد:

يتطلب تشخيص واقع الدرس اللساني العربي الحديث مصادر تاريخية ترجع بالأمور إلى أصولها. لذا لابد من تحديد أولى اللسانيات العربية الحديثة. وبما أن الدرس اللساني العربي الحديث نشأ في جو ثقافي حديث فستطرح كذلك كإشكال ثقافي للوصول إلى الحدود التاريخية للدراسات اللسانية العربية الحديثة وتحديد مكانتها. ينظر بتفصيل علمي: صورية جغوب، قضايا اللسانيات العربية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر، رسالة دكتوراه العلوم، تخصص: علوم اللسان، إشراف: عزالدين صحراوي، كلية الآداب واللغات، جامعة فرحات عباس (سابقا)، سطيف، الجزائر، 2011 . 2012م.

1- الاطار المفاهيمي (اللسانيات العربية الحديثة أو الفكر اللساني الحديث):

إن الحديث عما يعرف باللسانيات العربية الحديثة، يجب أن يقتصر على جملة من المؤلفات والدراسات اللسانية التي ألفتها لسانيون عرب منذ منتصف الأربعينات من القرن العشرين، وفيها بدأ الاتصال والتعرف على مناهج النظر اللساني الغربي الحديث. والدراسات اللسانية العربية المبكرة التي تبنت المنهج الغربية لم تعرف مصطلح اللسانيات إلا في أواسط الستينات. تحدد بدايات انتقال الفكر اللغوي الغربي إلى ميدان التفكير اللغوي العربي ببداية الاتصال الفعلي الثقافة الغربية في العصر الحديث. (فاطمة الهاشمي بكوش/ 12)

ويمثل النموذج المصري تحديد صورة لنشأة العلاقة بين الباحث العربي واللسانيات الغربية الحديثة على الطريقة النمطية حيث انعقدت صلة الجامعات المصرية بالدرس اللساني الغربي الحديث منذ مطلع الأربعينات، أما الشخصية الرئيسية التي تمثل نقطة هذه الصلة فهو "J-R-FIRTH" "جون روبرت فيرث 1890-1960 الذي كان أستاذا لللسانيات العامة في جامعة لندن ما بين عامي 1944 و1960 (سعد عبد العزيز مصلوح/ 20)

وعلى يد هذا العالم وتلامذته في مصر بدأ التيار اللساني الأساسي يمد رافدا يتسلسل في استحياء من اللسانيات الفرنسية "جوزيف فنديرس" و"أنطوان ميه"، واتخذت اللسانيات الأمريكية سبيلها في النهاية من خلال المتابعة والجهد الذاتي لتلامذة فيرث، ثم على يد العائدين من أمريكا في الستينات، ومعظمهم من أقسام اللغة الإنجليزية في الجامعات المصرية (م ن/ 20)

2- أصول النشأة

برز التأثير بهذا الفكر في كتابات رفاة الطهطاوي، الذي دعا إلى إنشاء مجمع للغة العربية على غرار المجمع العلمي الفرنسي، وظهر هذا التأثير أيضا في كتابي جرجي زيدان "الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية" (1886، واللغة العربية كائن حي (1904، ويبدو فيهما متأثرا بالنزعة الداروينية التي سادت آنذاك، وبنظرية النشوء والارتقاء، ونظرية النمو التلقائي للكائنات؛ إذ تبني نظرية اللغات المرتقية واللغات غير المرتقية، ونظرية المقطع الأحادي التي تفسر تولد الكلام، وحاول البحث في أصول العربية ونشأتها، مع مقارنتها بشقيقاتها من اللغات السامية، معتمدا النظريات التي سادت في نهاية القرن التاسع عشر (فاطمة الهاشمي بكوش، ن م/ 12)

وكان المؤثر الفعلي في البحث اللغوي العربي هو الفيلولوجيا العربية، إذ أدخل المستشرقون الألمان نمط التفكير الفيلولوجي إلى البلاد العربية، وشكلت بحوثهم إطارا مرجعيا لجملة من البحوث والدراسات اللغوية العربية، ويمكن عد سلسلة التأليف اللغوية التي اتخذت من فقه اللغة عنوانا لها أو نموذجا لهذا التأثير بدءا بكتاب "علي عبد الواحد وافي" فقه اللغة الصادر عام 1973 (م ن/ 13)

وفي الوقت نفسه، نبه باحثون عرب إلى ضرورة إعادة فهم اللغة العربية من خلال ربطها بعائلة الساميات، نجد ذلك في كتب الأب أغسطين مرمجي الدومينيكي: "المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية" (1937)، وكتاب: "هل العربية منطقية أبحاث ثنائية ألسنية 1947، وكتاب "معجميات عربية سامية" (1950)، ثم كتاب عبد المجيد عابدين "المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية" (1951). وهذه الكتب تمثل نموذجا آخر لتأثير الفيلولوجيا في البحث اللغوي العربي، فضلا عن أن جملة من البحوث العربية التي اتجهت بالنقد إلى النحو العربي، عادات متأثرة بتصورات المستشرقين في ذلك، وذلك ما لقيه (كتاب إبراهيم مصطفى "إحياء النحو" (1937) من رفض ونقد وجدل (م س/ 13)

واللغويون العرب في هذه المرحلة المبكرة لم يتبينوا الفرق بين مجال الفيلولوجيا بالمفهوم الغربي، وبين المفاهيم التيورثوها عن اللغويين العرب القدماء، والتي تدخل في إطار فقه اللغة، من قبيل المفاهيم التي قدمها ابن جني [ت 392 هـ]، في كتابه "الخصائص"، وابن فارس [ت 395 هـ]، في كتاب: "الصاحي في فقه اللغة" و"سنن العربية في كلامها". وقد وقع في هذا الخلط الكثير حتما كتب في هذا المجال، بدءا بعلي عبد الواحد وافي بفقه اللغة. لكن فريقا آخر أتى Philology، حين ترجموا مصطلح الفيلولوجيا. بعد هؤلاء محمود السكري في كتابه "علم اللغة" مقدمة للقارئ العربي 1962 ومحمود فهمي حجازي في كتابه علم اللغة العربية، 1970، وذلك لما تيسر لهم من اطلاع على المناهج الحديثة (م ن/ 13) وبالتالي فقد وقع علماء اللغة العربية في اختلاف كبير بين هذه المناهج والمصطلحات مما أدى إلى اختلاف الاتجاهات.

### 3- الأطر التاريخية:

إذا كانت اللسانيات العربية الحديثة ارتبطت بنقل نتائج البحث اللساني الغربي الحديث، فإن نشأتها تتحدد بعودة الباحثين المصريين من الجامعات الأوروبية؛ حيث درسوا المناهج اللسانية الغربية الحديثة، وبدأوا نشر بحوثهم اللسانية منذ ذلك التاريخ (فاطمة الهاشمي بكوش، م س/ 18)

وتحديد ارتباط اللسانيات العربية الحديثة بنقل نتائج البحث اللساني الغربي الحديث، وبعودة اللسانيين المصريين من الجامعات الأوروبية يعد نوعا من التحديد في كتابة تاريخ اللسانيات العربية الحديثة.

وإذا كانت لحظة نشأة اللسانيات العربية هي تاريخ صدور أول كتاب تبني المناهج الغربية فتحدد ما بين [1941 - 1946]، وهي المدة التي يرجح فيها صدور كتاب "الأصوات اللغوية" لإبراهيم أنيس، الذي يعد أول كتاب عربي حاول تطبيق النظرية الغربية وتحديد نظرية البنيوية فيوصف أصوات اللغة العربية، وأسبقية هذا الكتاب لا تحدد بوضوح، إذ جاءت طبعته الأولى من دون تاريخ، وقد تعددت الآراء في تاريخ هذه الطبعة إذ ترددت بين سنتي 1945 و1955

يرى حلمي خليل أن كتاب "الأصوات اللغوية" هو أول كتاب للدكتور إبراهيم أنيس وأن طبعته الأولى كانت سنة 1947، أما كتابه الثاني "في اللهجات العربية" فقد طبع أول مرة سنة 1950. (حلمي خليل/ 148) أما عبد السلام المسدي في كتابه "في اللهجات العربية" فيرى بأنه أول كتاب أصدره إبراهيم أنيس أي أنه يأتي قبل كتاب الأصوات اللغوية، فهو يرى

أن الطبعة الأولى منه كانت سنة 1946 في حين أن الطبعة الأولى للكتاب الثاني كانت سنة 1950 (عبد السلام المسدي،  
(22 /1989)

أما عن تاريخ صدور كتاب الأصوات اللغوية مقارنة بكتاب في اللهجات العربية فإنه "إما في السنة نفسها ( 1946  
أو قبل ذلك. وإذا كان د. إبراهيم أنيس بدأ نشاطه في التأليف بعد عودته من الدراسة أي في سنة 1941. فإن تاريخ صدور  
هذه الطبعة يتردد بين سنتي 1941 و1946" (م ن / 20) وبالتالي تحدد هذه الفترة كبداية للكتابات اللسانية العربية  
الحديثة.